Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢

وقد ظلت الصفوة الممتازة من شعرائنا حتى نهاية العصر العباسى لا تجنح بشعرها إلى إيقاعات جديدة مستحدثة أو تفكر فى استحداثها فقد كانت من حدّة الحسّ ودقة الشعور بحيث رأت التمسك إلى أبعد حدود التمسك بإيقاع القصيدة الموروث ونسبه وأقيسته وقسماته المتميزة التى تحتفظ له بوَهجه وشَرره الموسيقى، والتى يبلغون بها كل ما يريدون من النفوذ إلى قلوب الناس وعقولهم، واقرأ فى أبى نواس وأبى تمام والبحترى وابن الرومى والمتنبى وأبى العلاء فإنك لن تجد عندهم أى انحراف عن الإيقاع الموروث للقصيدة إذ ثبت لديهم أنه هو الإيقاع الذى يستحوذ على إعجاب الناس ويخلب ألبابهم، لما فيه من كمال موسيقىّ غريب. وبذلك ظلّ الشعر طوال العصر العباسى يحتفظ بهذا الإيقاع الأصيل الذى يُصَبُّ فى كلمات البيت الشعرى المتناسق، مؤلفًا بينها قرابة موسيقية لعلها أشدّ وأوثق من قرابة ذوى الرحم. وتبارى الشعراء الذين سمّيناهم وغيرهم من معاصريهم فى جمال الديباجة والصياغة، حتى تزخر أشعارهم بالنصاعة والرونق والجزالة والرصانة والعذوبة والرشاقة، واستغلوا فى ذلك كل ما قرءوه فى كتب النقد وفى علم التجويد، مما يصور خصائص الكلم الصوتية وخصائص حروفها الموزعة بين مجهورة ومهموسة وشديدة ولينة ورقيقة وغليظة، مما تتخالف وتتباين معه رنات الكلمات وألحانها. وتحوَّل كبار الشعراء العباسيين إلى ما يشبه أصحاب الكيمياء الحاذقين الذين يستطيعون أن يؤلّفوا شذىً عطريًّا فائحًا من عناصر متعددة، ولعلّ أكبر كيميائى ظهر بين الشعراء العباسيين وعرف كيف يستغل عناصر الحروف والكلم ويسوِّى منها موسيقى خلابة هو البحترى، وعرف ذلك القدماء له، فقالوا: إن شعره به صنعة خفية، وقالوا: إن ألفاظه لما تمتاز به من حسن «كأنها نساء حسان، عليهن غلائل مصبَّغات، وقد تحلّين بأصناف الحلى». غير أنهم لم يحاولوا تحليل هذا الحسن وردّه إلى خصائصه الصوتية فى انتخاب الكلمات، وكل من يرجع إلى أشعاره متأملاً يعرف توًّا أنه كان أستاذًا من أساتذة